دين وعروبــة

[نظم الشاعر هذه القصيدة في ١٢ نوفمبر تشرين الثاني ١٩٥٨]

أيهــا الســائــرُ بينَ الـغيْـهـبِ ... عــاثــرَ الخــطوِ جليَّ التعبِ[١]
ضــاربــاً في لجــةٍ غــامـضــةٍ ... من محيطِ العــالمِ المضــطربِ
لا تقفْ حيـرانَ مشبـوبَ الأسى ... هكــذا نهبــاً لشتَّى الــرِّيـبِ[٢]
ذلــكَ الــدَّرْبُ سلكنــاهُ مـعــاً ... من قــديمٍ لستَ بــالمغتــربِ
أنتَ في الــدنيا نمــاءٌ هـائــلٌ ... مشـرقُ المـاضي عــريقُ النَّسبِ
أنتَ لا تعــرُف مـنْ أنتَ وَلَـمْ ... تقـرأِ التـاريـخَ يـا ابنَ العــربِ

* . * . * . *

عُـدْ لتـاريخِـكَ وانشُـد قَبَسـاً ... من سنــاً بــدّد ليــلَ الحُقُبِ[٣]
تـلمسُ العـلةَ تشكــو بــأسهــا ... ثم لا تــدري لهــا مـن سببِ
أنــا أُنبيــكَ عـن الــداءِ وعـن ... طبِّــهِ المهجــورِ مــلءَ الكُتُـبِ
يــا تـرى، عنــدَكَ ألقى خبــراً ... عن أنــاس بصعيــد مُـجْـدبِ؟
مِن رُعَـاةِ الشـاءِ عــاشـوا زمنــاً ... لم يسيــروا للعــلا في مــوكبِ
أدركــوا الـذلــة ذاقــوا مُــرَّهــا ... عــرفـوا بــطش القـويِّ الأجنبي

---

(١) الغيهب : الظلمة والجمع غياهب.

(٢) الريب: الشكوك، الظنون.

(٣) الحُقُب: بضم الحاء والقاف،وهو الدهر، وجمعه أحقاب أما الحُقْب: بتسكين القاف وهو ثمانون سنة وقيل أكثر من ذلك وجمعه حقـاب

ثم في يومٍ أبيٍّ مشرقٍ ... جاءهم بالمجد والنور نبي
فسما في ظلِّ ما جاءَ به ... مَن أجابوه ومنْ لم يُجبِ
كمْ رقابٍ فكَّها مِنْ صَفَدٍ ... كم أسىً قد حطَّهُ عن مَنْكبِ[1]
ومشى في ساحةِ المجدِ بهم ... سادةً تحتَ ظلالِ القُضُبِ[2]
عرفَ العالمُ عنهم نبأً ... أُفعِمَتْ آياتُهُ بالعَجَبِ
لم يزلْ في خاطري أنَّ الذي ... قوَّضَ الرومانَ بالرمحِ أبي
كيفَ لا أذكرُ أجداداً لهم ... فَتْكَةُ الإعصارِ عندَ الغضَبِ
وجواداً قَبَّلَتْ حافرَهُ ... لجةُ البحرِ تُجاهَ المغربِ[3]
وملوكُ الصينِ تَهدي تربها ... لفتاناً في صحافِ الذهبِ
أيُّ روحٍ مِنْ هُداها انبَجستْ ... هذهِ الأضواءُ مثلَ الشُّهبِ
أيُّ إشراقةِ نفسٍ رفعت ... هذهِ الأمجادَ فوقَ الكوكبِ
إنَّها قصةُ بعثٍ كُتبتْ ... بحروفٍ من سناً، من لهبِ
نهضةٌ بالدين شادوا صرحَها ... ثابتَ الركنِ قويَّ الطُّنُبِ[4]
أَعَرَفْتَ الآنَ معنى أنْ تَرى ... حاقداً يلبسُ جلدَ الثَّعلبِ
عَرَفَ الإسلامَ، ما غايتُهُ، ... ما الذي يحملُ لمغتصبِ
فمشى بالكأسِ مسموماً وكمْ ... يشهدُ الليلُ دبيبَ العقربِ
همُّهُ أن يُصبحَ العرب بلا ... عاصمٍ كالدينِ عندَ النُّوَبِ[5]
همُّهُ المصباحُ، لو أطفأهُ ... أهلكَ السارينَ ليلُ العطبِ

---

(١) الصَّفد: ما يوثق به الأسير من قيد وغل.

(٢) القضب : السيوف.

(٣) يشير إلى ما روي منسوباً إلى القائد المسلم عقبة بن نافع الفهري إذ خاض بقوائم فرسه شاطىء الأطلسي بعد فتوح المغرب وهو يقول: «اللهم لو أني أعلم أن وراء هذا البحر يابسة لأقتحمت هذا الهول المائج لأنشر اسمك العظيم في أقصى بقاع الدنيا».

(٤) الطُّنب: حبل الخباء.

(٥) النوب: المصائب.

واختلفنا في الورى ألسنةً يجهلُ المصريُّ لفظَ الحلبي[1]
وافترقْنا بينهمْ أفئدةً جُمعت حول التراثِ الطيبِ
وابتعدنا كلُّنا عن هدفٍ بات يُدْنيه اتحادُ المشرَبِ
أمةُ العربِ بخيرٍ طالما هي في إسلامها لم تُنْكَبِ

* . * . * . * . *

(١) الحلبي : نسبة إلى مدينة حلب وهي مدينة كبيرة في شمالي سورية وكانت عاصمة سيف الدولة الحمداني .